

الكشاف

فإن قلت : كيف عدى وسوس تارة باللام في قوله : " فوسوس لهما الشيطان " الأعراف : 20 وأخرى بإلى ؟ قلت : وسوسة الشيطان كلوله الثكلى ووعوة الذئب ووقوة الدجاجة في أنها حكايات للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس . ومنه : وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر . والفتح لحن . وأنشد ابن الأعرابي : .

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق .

فإذا قلت : وسوس له فمعناه لأجله كقوله : .

أجرس لها يا ابن أبي كباش .

ومعنى وسوس إليه أنهى إليه الوسوسة كقولك : حدث إليه وأسر إليه . أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم : فرس الحياة لأن من باشر أثره حيي " وملك لا يبلى " دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس بهم : " إلا أن تكونا ملكين " الأعراف : 20 ، بالكسر .

" فأكلا منها فبدت لهما سوأتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى " طفق يفعل كذا مثل : جعل يفعل وأخذ وأنشأ . وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في أول الأمر . وكاد لمشارفته والذنو منه . قرء " يخصفان " للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف أي : يلزقان الورق بسوأتهما للتستر وهو ورق التين . وقيل : كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما . وقيل : كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع عن ابن عباس : لا شبهة في أن آدم لم يمثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان . ولما عصى خرج فعله من أن يكون فعلا رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة ؛ لأن الغي خلاف الرشد ولكن قوله : " وعصى آدم ربه فغوى " بهذا الإطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل : وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات : فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم : انظروا واعتبروا كيف نعت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه إلا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلطة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا أن تجسروا على التورط في الكبائر . وعن بعضهم فغوى فيشم من كثرة الأكل وهذا - وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا فيقول في " فني وبقي " : فنا وبقا وهم بنوطي - تفسير خبيث . " ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي " فإن قلت : ما معنى " ثم اجتباه ربه " ؟ قلت : ثم

قبله بعد التوبة وقربه إليه من جى إلي كذا فاجتبيته . ونظيره : جليت علي العروس فاجتليتها . ومنه قوله D " وإذا لم تأتهم باية قالوا لولا اجتبيتها " الأعراف : 203 ، أي هلا جيت إليك فاجتبيتها . وأصل الكلمة الجمع . ويقولون : اجتبت الفرس نفسها إذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار . و " هدى " أي وفقه لحفظ التوبة وغيره من أسباب العصمة والتقوى .

" قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإذا يأتينكم منى هدى فمن آتبع هداى فلا يضل ولا يشقى " .

لما كان آدم وحواء عليهما السلام أصلي البشر والسببين اللذين منها نشؤوا وتفرعوا : جعلاً كأنهما البشر في أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقليل : " فإذا يأتينكم " على لفظ الجماعة . ونظيره إسنادهم الفعل إلى السبب وهو في الحقيقة للمسبب " هدى " كتاب وشريعة . وعن ابن عباس : ضمن القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله : " فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى " والمعنى أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيها نجا من الضلال ومن عقابه .

" ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى "